تكوّن ثورة اكتوبر وفي السنوات القليلة اللاحقة لانتصار الثورة ، طرحوا مفاهيم ولغة جديدة للفن كانت ثورة جذرية على كل المفاهيم الاكاديمية والبورجوازية التي كانت سائدة في اوروبا والعالم في ذلك الوقت ، فلقد قام فنانون مثل مالفيتش وتاتلين وكاندينسكي وكابو وبغزنر ما بين ١٩١٢ ـ ١٩٢٠ بابداع أسلوب جديد في الفن هو الفن التجريدي الذي يقوم على عناصر بلاستيكية تعتمد على التكوين الهندسي الديناميكي ، فن يتوجه نحو المستقبل والحركة في مضمونه وشكله ووظيفته أيضا ، ففي الوقت الذي كان فيه فنانون آخرون مثل بيكاسو وبرانكوزي وماتيس يبحثون عن فن تعبيري او رمزي او وحشي او تكعيبي ، أي فن له علاقة تطورية بالفنون السابقة وفنون الحضارات القديمة ، نجد الفنانين الروس يبدعون لغة فنية جديدة نوعيا ، ولم يسبق لها مثيل في التاريخ ، وكانت اول ثورة ناضلت من أجل تغيير مفاهيم الفن في القرن العشرين ، لقد حاول هؤلاء الفنانون خلق ثورة في الفن معادلة للثورة السياسية والاقتصادية الشيوعية ، أي رفض جذري للاشكال والاساليب القديمة الماضية ٠

اننا حين نريد تحديد الالتزام الثوري الحقيقي في الفن اليوم لا بد أن نرجع الى الاصل ، فنربط الالتزام الثوري في الفن بالحركة التجريدية الطليعية ، اذ أن هؤلاء الفنانين كانوا اول مناضلين من اجل التعبير عن روح الثورة وولادة العالم الجديد ، يقول هربرت ريد (١) « لقد 'قمعت الحركة و'نفي محركوها أو أنهم صمتوا ، ولكنهم كانوا قد خلقوا ليس فقط حركة فنية جديدة ، وتطويرا في الاسلوب ، ولكن نوعا جديدا كليا من الفن البنائي Constructivist Artوانتشرت ممارسته من موسكو الى كل العالم » ٠

في العالم العربي اليوم بدايات حركة فنية ، بعد ركود طويل وانقطاع تام عن الممارسة الابداعية تبدأ في استعمال اللون والخط والشكل كلغة للتعبير ، وتبدأ مرحلة الوعي للذات كقوة فاعلة لها خصوصياتها الحضارية والابداعية ، ولقد كان جواد سليم (العراق) وأدهم اسماعيل (سوريا) ، وبول غيراغوسيان (لبنان) من اوائل الفنانين الذين حاولوا رسم ملامح تعبيرية فنية ناضجة ذاتيا ومرتبطة بالحركة الفنية العالمية المعاصرة ، وجسد هؤلاء الفنانون الوعي العربي الجديد في الخروج من السلب الى الايجاب ، من الغياب الى الحضور ، وكانوا طليعة من عبر عن هذا الوعي التاريخي ٠

لا نستطيع ان ننظر الى الفنانين الفلسطينيين الا كجزء من الحركة الفنية العربية عامة ، لقد ألحّ بعض الفنانين الفلسطينيين في البداية على تصوير المأساة والتشرد، وكانت هذه مرحلة طبيعية للتعبير عن الهزة المباشرة التي تعرض لها الانسان الفلسطيني في صميم وجوده وحياته ، وفي حين جمد بعض الفنانين الفلسطينيينعند هذه المرحلة الاولى ، أخذ آخرون طريق المغامرة باحثين عن الخروج من المباشرة الانفعالية البسيطة للوصول الى لغة فنية ذات خصائص بلاستيكية مستقلة ، كانت جزءا من الحركة الفنية الابداعية العربية ٠

من الخطأ الادعاء ان هنالك فنا فلسطينيا ، هنالك فنانون فلسطينيون ، كما هنالك فنانون من دمشق أو بغداد، وان الارتباط الفني العربي الفلسطيني هو ارتباط لا مثيل

---

1) A consise History of modern sculpture - Herbert Read.